

- إن شاء الله هيبقي كويس ياماما.

- يارب يابنتي يارب.

حالة من البكاء تسيطر على الجميع....يجلس يوسف مؤنباً حاله على فعلته..
يسمح الطبيب ليوسف أن يرى صديقه من خلف الزجاج ولكن يطلب منه ألا يطيل مكوثه في العناية

ينظر يوسف إلى صديقه ويبكي على حاله وعلى ما تسبب فيه لصديقه ..

يتكى برأسه على زجاج الغرفة ويقول:

- سامحني يا إسلام ... أنا السبب.

أخذ يوسف يبكي ويردد تلك الكلمات حتى قطع بكائه ذلك الصغير المدوي.....

الفصل الواحد والعشرون

(فراق ووداع)

ذهبت عني يا خليل الروح إلى الأبد، كل مفارق ينتظره عائلته ولو طال البعاد أمداً ، ولكني أعلم أن مكانك عالٍ ولم يتسع لأحد، نورك يضيء في أعلى الجنان يارفيق الدرب، وظلمة ذنوبي تفحمت كالحطب، باتت الدنيا مظلمة وأنا السبب في تغير الطريق، اااااه على رحيل يدمي قلبي، اااااه على عتاب بات يمزقني، ألبستك الكفن بجسد واهن، وقدمتك بيدي للقبر ساكناً ، لم يعد القلب ثابتاً والعقل فارق كالصديق، يقتات الوجع من روحي على مفارقها، ياغائب وحاضر في الوجدان أخبرك، انفطر القلب على هواء لم أقتسمه معك، أشتاق لك أشتاق فلن يملكني خليل سواك، أشتاق لك أشتاق فعُد ولو كانت روحي فداك.
(جهاد الكريدي)

يعلو صوت صفير الأجهزة الغرفة بكاملها مما استدعى تدخل الطاقم الطبي المختص..ينظر يوسف إلى محاولة الأطباء في إنعاش قلب صديقه مستخدمين جهاز الصدمات الكهربائية .. يرى جسده الهزيل ينتفض بفعل الصدمات الكهربائية ولكن لاجدوى..
تُخرج الممرضة يوسف من الغرفة بعد أن أشار لها الطبيب...لم يمالك نفسه وهو يقول في نفسه " يوسف مات خلاص"....لحظات قليلة ويخرج الطبيب وعلامات الأسى والحزن تُخيم على وجهه ليعلن للجميع خبر وفاة يوسف..

تصمت الألسنة و تتكلم العيون معلنة الحداد على فقدان إسلام...تسقط الأم مغشياً عليها فور سماعها الخبر...تنهار إيمان من البكاء وتذهب مع والدتها في إحدى الغرف للاطمئنان عليها...تقف سديم بلا حراك فهي إلى الآن لم تصدق ماسمعه للتو...تضمها والدتها إلى أحضانها لتنفجر سديم من البكاء على فراق ما تمننت أن يكون زوجهايجلس يوسف على ذلك الكرسي فلم تتحمل قدماه هول الخبر لا يعرف شيئاً سوى البكاء يلوم نفسه على ما فعله بصديقه فتلك كانت آخر ذكرى تجمع به وقد كانت سبباً في فقدانه.

يذهب محمد للاطمئنان على والدته إسلام فيجد تلك المحاليل تتدلى من يدها لتهدئتها من هول الصدمة...ترتمي إيمان بين ذراعيه وتبكي على فراق أخيها.

- كذا إسلام مات خلاص يا محمد ...يعني خلاص مش هشوفه تاني؟

- ادعيله بالرحمة يا حبيبتي... دي إرادة ربنا - سبحانه وتعالى - **قالها هشام** والدمع يذرف من عينيه.

ما أصعب الفراق يأخذ منا ما هو غالٍ وثمان ليتترك لنا الدمع والألم ، نقف والصمت يتغلب علينا لا نملك أمامه قوة لردعه...

يقف يوسف يشهد غُسل صديقه ولا تملك قدماه القوة الكافية لحمله...تلك هي المرة الأولى التي يرى فيها ذلك الأمر والأصعب أنه شاهده في صديقهيرى يوسف المُغسل وهو يقلب صديقه يميناً ويساراً ولا حول له ولا قوة ...ترقرقت عينا يوسف بالدمع ولم تستطع الجفون أن تمنعها فأعلنت النزول مخلفة ألماً يعتصر قلب يوسف يشعر بالذنب على فعلته التي لام نفسه عليها ...تذكر يوسف أنه سيكون مكان صديقه في أحد الأيام ..تذكر معاصيه وأفعاله كيف سيواجه بها الله؟ ها هو يرى وجهه صديقة كالقمر ليلة البدر والابتسامة تسكن شفثيه " ماذا سيكون حالك يا يوسف؟ " هكذا سأل حاله ولكن لم يجد لنفسه إجابة تُرضيه.... كان هناك من يرمقه بنظره منذ أن دخل غرفة الغُسل...يضمه إليه والده محاولاً أن يخفف عنه ولكن استمر يوسف بالبكاء شعر بأن قلبه يُغسل من الران الذي غطى قلبه... انتهى المُغسل من عمله ليبدأ في تكفين إسلام وقبل أن ينتهي يطلب يوسف منه أن يقبل صديقه لآخر مرة..

اقترب يوسف من صديقه وشعر بأن نوراً يخرج من وجه صديقه ثم نظر إليه وقبل جبينه وقال:

- سامحني بالله عليك ...والله ما كنت أقصد أزعلك أبداً... عرفت متأخر قد إيه إنت كنت خايف عليا.

انهار يوسف من البكاء هاهو يودع صديقه فتلك هي آخر مرة سوف يراه فيها ..

حملوا جثمانه إلى المسجد للصلاة عليه...صلاة لاركوع فيها ولا سجود ..

وقف الإمام أمام جثمان إسلام وقال:

- صلاة الجنازة أربع تكبيرات التكبيرة الأولى فاتحة الكتاب التكبيرة الثانية النصف الأخير من التشهد التكبيرة الثالثة الدعاء للمتوفى **وهو ذكر والإخلاص** في الدعاء والتكبيرة الرابعة الدعاء لعموم المسلمين الأحياء منهم والأموات ...

تجلس والدته إسلام على ذلك الكرسي لم تعد قدماهما تتحملها فُصم ظهرها بفقدان صديقه ...تكاد تستطيع إيمان أن تقف للصلاة على أخيها ... غابت سديم ووالداها عن صلاة الجنازة بعض أن تعرضت لصدمة عصبية فقدت إثرها النطق وذهبا بها إلى المشفى ..

الله أكبر... التكبيرة الأولى قالها الإمام ومن ورائه يوسف يصدر نحيب البكاء..هزّت التكبيرة فؤاد يوسف الله أكبر...التكبيرة الثانية يبكي محمد على فراق إسلام طالما شعر أنه أخوه الصغير.

الله أكبر...التكبيرة الثالثة تبكي إيمان ووالدتها وتبدأ كلٌ منهما في الدعاء للفقيد ..كان نعم الابن البار لوالدته ونعم الأخ لأخته..

الله أكبر... التكبيرة الرابعة ومعها هاج الجميع في البكاء على إسلام فلقد كان محبوباً من أقاربه وجيرانه وأصدقائه...الكل يبكي على فراقه فكل من يراه كان يحبه...وهذا هو حب الله لعبده أن يحبب فيه عباده..

انتهت الصلاة ورُفِع جثمان إسلام نحو السيارة ومنها إلى مثواه الأخير ..شعر الجميع أن جسده يطير من فوق الحضور ...كان عدد الحضور كبيراً جداً انطلقت السيارة بسرعة نحو المقابر حيث مثواه الأخير ...أصر يوسف أن يكون بصحبة صديقه في السيارةيجلس يوسف بجانب صديقه باكياً نادماً على ما فعله:

- سامحني يا إسلام..أنا عارف إنك حاسس بيا دلوقتي...والله ما أقصد أهينك أبداً سامحني ...

تصل السيارة إلى وجهتها....ينزل يوسف من السيارة يحمل جثمان صديقه مع أقربائه ليضعوه في قبره

- خلاص يا إسلام مشيت وسيبتتي لوحدي ..مشيت يا صاحبي....وانت زعلان مني ...للأسف محدش بيعرف بقيمة الحاجة إلا لما تضيع منهاااااه يا إسلام...لسه مش مصدق ...حاسس إني بحلم ...مع السلامة يا إسلام.
قالها يوسف وهو مع صديقه في قبره يودعه وداعه الأخير ...يسرع محمد في إخراجه من القبر ليرتمي بين ذراعيه معلناً البكاء.
يقف الجميع لدقائق يدعون لإسلام بالرحمة والمغفرة ...ارتفع نحيب يوسف من البكاء مع الدعاء لصديقه وفي تلك اللحظة خطر في عقل يوسف سؤالاً طرحه على نفسه:
" ماذا أعددت لهذا اليوم ؟ "

يبكي يوسف على حاله داعياً الله بصدق في تلك اللحظة قائلاً:
- والله يارب عائد إليك....اقبلني يارب عندك.

تجلس والدتها بجانبها على سريرها محاوله أن تعطيها شيئاً تأكله ولكنها تأبى ...لم تتوقف عينا سديم عن البكاء ...تمر تلك الذكريات القليلة التي زرعتها إسلام بحنانه بداخلها ..
فالذكريات ماهي إلا مواقف مررنا بها ربما تكون سبباً في رسم تلك البسمة على شفاهنا أو ربما تكون سبباً في تلك الدمعة التي تسقط من بين جفوننا..
يدخل والدها ويوسف متلهفَين ليطمئناً عليها..
- مالك يابنتي...قوليلي مش أنا بابا حبيبك ...طمينيني بس عنك، قالها الوالد وهو يحتضن ابنته باكيا عليها.
كانت الصدمة شديدة عليها فقط بعد شهر من الخطبة يرحل إسلام عنها تاركاً لها تلك الذكريات.
يقف يوسف ينظر إلى أخته وفي خاطره تتردد تلك الكلمات التي تذبحه:
- أنا السبب أنا السبب.

في المساء يذهب يوسف ووالده إلى العزاء ليقف بجانب محمد.. يقف يوسف بجانب محمد يأخذ عزاء صديقه ويقول في نفسه " بدل ما أنا واقف في فرحك باخد عزاك "
انتهى العزاء ومعه ينتهي أول يوم على فقدان إسلام ... يصعد يوسف لتعزية والدته إسلام بعد أن طلب من محمد ذلك...

- البقاء لله يا أمي.
- الدنيا والدوام لله يا بني... الحمد لله أقول إيه غير الحمد لله؟ ماليش غيرك يارب يصبرني ماليش غيرك يارب يصبرني.
- تسقط دموعات يوسف حُزناً على والدته إسلام.
- طمني يا بني أختك عاملة إيه دلوقتي؟
- ادعيلها يا أمي لسه زي ماهي.
- ربنا يصبرها يا بني يارب ...ابقى تعالى اسأل عليا يا يوسف إنت من ريحة الغالي...دايما كان يحكي لي عنك...ماتعرفش يا بني كان بيحبك إزاي.
- كانت كلمات والدته إسلام تزيد الجرح في قلب يوسف.
- حاضر يا أمي من دلوقتي اعتبريني ابنك الثاني.
- ربنت والدته إسلام على كتفيه وقالت:
- في أمانة يا بني إسلام سا يبها لك لقيتها في مكتبه.
- تعجب يوسف من ذلك و بدأت الأسئلة تطرق عقله ...قطع شردوه صوت محمد وهو يقول:
- اتفضل يا يوسف الأمانة بتاعتك

الفصل الثاني والعشرون.

(وصيتي)

- يصل يوسف إلى المنزل بعد أن سيطرت عليه حالة من التفكير بعد أن أخذ ذلك الصندوق من محمد....
يذهب إلى غرفة أخته ليطمئن عليها ولكن يجدها على نفس حالتها..
- السلام عليكم الدكتور قال إيه ياماما؟، قالها يوسف لوالدته بعد أن أغلق الباب على أخته.
عندها صدمة عصبية ...و مع الوقت هتتحسن
ذهب يوسف إلى غرفته بعد أن أنهى كلامه مع والدته ليعرف ماقد أخفاه صديقه له.

- يدخل فادي غرفته بعد أن أمسك بهاتفه تاركاً سوزي بمفردها مما زاد الريبة في قلبها حتى لحقته لتعرف ما يخفيه عنها ..
- يابنتي أنا لغمت كاس العصير بتاعه ولسه هيشربه أخذته سوزي على الأوضة بعدها جاله تليفون وماشوفتهوش بعدهاما تقلقيش وحياتك أنا وراه وأجيبهولك راعك لحد عندك

أيقنت سوزي أن فادي وهايدي يدبران أمراً ليوسف مما أيقظ الخوف في قلبها تجاه يوسف ...
لقد أحبته سوزي دون أن تشعر فرغم حالته التي كان لا يعي فيها بشيء إلا أنه رفض أن يقربها أو،
يلمسها ... ترجع سوزي بسرعة فور إنهاء فادي مكالمته.

يجلس يوسف على مكتبه والحيرة تملأ رأسه وقبل أن يخرج الصندوق تذكر كل ما فعله إسلام من
أجله وكم كان قاسياً معه في تلك المرة ...

وقبل أن يفتح يوسف الصندوق يجد مكتوباً عليه من الخارج " خاص بيوسف جمال المصري " .

يبدأ يوسف في فتح الصندوق ليجد ذلك العطر الذي يحبه يفوح منه والذي يذكره دائماً بصديقه ... أفرغ
يوسف محتوى الصندوق تماماً وبدأ يتفقد ما أفرغه ...

مجموعة من الصور القديمة التي جمعت بينهما وورقة مكتوب عليها " وصيتي لك " وورقة مكتوب بها
أسماء دروس ومواظ لبعض المشايخ ...

يبدأ يوسف في فتح تلك الورقة ليقرأ وصية صديقه له:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته....

" صديقي وأخي الحبيب يوسف تحية طيبة وبعد.. عندما تقرأ تلك الكلمات سأكون أنا ذهبت عن هذا العالم
.. طالما اشتقت للقاء ربي رغم قلة أعمالي إلا أنني أثق بأن الله سيقبلني... كنت أتمنى أن نعمل سوياً في
الدعوة إلى الله نكون ثنائياً نشد بعضنا إلى الجنة ... ولكن هذا قدر الله يا حبيب أن تكمل بمفردك .. أتمنى يا
يوسف أن تكون مثلاً يحتذى به من قبل الشباب ... أتمنى أن تكون ممن يُظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا
ظله، أتمنى منك أن تدعو الناس لرب الناس وتعود لله، تحب ربنا وتحبب الناس في ربنا.... تتغير وتتغير
الناس للأفضل ...

شباب الجامعة مسؤولون منك يا يوسف.... الإلحاد سيطر على عقولهم ... تخيل شباباً يدعون أن لا معبود
بحق ولا توجد آلهة ... ادعُ يا يوسف بالحكمة والموعظة الحسنة كما قالها ربنا في كتابه..

أثق يا يوسف أنك سيكون لك باع في تغير الشباب وسوف يحب الله عملك ويستخدمك لدينه ... لم أنسك
في سجودي ولا قيامي من الدعاء لك... لا تدري كم كانت محبتي لك ... كنت أبكي لله أن يهديك ويرد
إليك رُشدك ...

يوسف أقسم عليك ألا تصاحب أي فتاة أخرى ... لا تتكلم معهم ... لا تصاحبهم ... لا تدري يا صديقي أن
هذه أعظم فتنة هكذا أخبرنا النبي - صلى الله عليه وسلم - اترك قلبك لزوجتك التي كتبها الله لك، اربط
على قلبك يا صديقي، أجم نزواتك وشهواتك بإيمانك، واحفظ نفسك لزوجتك

اسمك يوسف على اسم نبي الله يوسف انظر يا صديقي عندما دعته امرأة العزيز في غرفة واحدة وقالت:
هيت لك، قال: معاذ الله ... انظر إلى إيمانه... وفي بداية السورة الله يخبر نبينا محمداً - صلى الله عليه

وسلم - نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك ... بمعنى أن الله فضلها على كثير مما أوحى
لنبيينا تذكر يا يوسف بما كان يفكر فيها نبي الله يوسف - عليه السلام - ... خوفه من الله - تعالى -

.... تذكر أنت يا يوسف خوفك من الله عصينا الله وأمهلنا ليس لضعف منه والعياذ بالله ولكن لحلمه علينا
... لنرجع ونتوب إليه فكم من عفوه! وكم من حلمه! وكم من كرمه! وكم من جوده! وكم من ستره علينا!

وكم من رحمته بنا!.. ارجع وتب لله يا صديقي...

يتابع يوسف القراءة بعدما أوقفته نوبة من البكاء

اترك يا يوسف شهواتك وملذاتك لله ..من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، اترك لله وسوف يعطيك الله فوق ما كنت تتمنى ويرزقك بمن تقر عينك...
في النهاية يا صديقي عدني أنك سترجع إلى الله، وسامحني إن كنت أغضبتك في مرة.

صديقي إذا توفيت قبلك عدني أن لا تبكي ، وأن تخفى أغراضي عنك وتذكرني في صلاتك بالدعاء وتختتم لي القرآن وتزورني في قبوري....

لقد وعدتني يا صديقي فأوف بوعدك، ابدأ مع الله حياة جديدة دون معاصٍ.
أحبك في الله.
إسلام "

انتابت يوسف نوبة بكاء مع نحيب كادت أن تقضي عليه ها هو الآن يعلم كم كان يحبه صديقه ولكن بعد أن فقدته ...طال بكاء يوسف ومعه يشعر بأنه يُغسل من ذنوبه
دقائق قليلة مرت كأنها ساعات كثيرة على يوسفقام وتوضاً ليعلمها الله توبة نصوحاً...يعلن فيها رجوعه إلى الله ...أطال يوسف الوقوف بين يدي الله ومعه أطال البكاء وعند سجوده بكى قائلاً:
" يارب خذني إليك لا تتركني في بحر شهواتي وملذاتي ...يارب أعطني على نفسي وشيطاني ...يارب اقبلني عندك ...يا رب أنا عائد إليك ...أنا تائب إليك...أستغفرك يارب فاغفر لي يارب العالمين ".
شعر يوسف بالخوف من الله ووعيده فهذه المرة الأولى التي يشعر بهذا الشعور ...

أنهى يوسف صلاته، وبعدها خلد إلى نوم عميق
أيقظ يوسف من نومه صوت المؤذن يعلن عن صلاة الصبح....يشعر يوسف بأنه ذلك العبد التائب العائد إلى الله

يذهب يوسف للصلاة في المسجد المجاور له...وفي طريقه يسأل حاله كم اشتاق المسجد له! تذكر يوسف معاصيه من قبل فترقق الدمع من بين جفونه ...رق قلب يوسف بعد أن كاد يكون أشد قسوة من الحجارة ..

يدخل يوسف المسجد ويلاحظه الإمام فلقد غاب عن المسجد فترة ليست بالقصيرة ..

أنهى يوسف الركعتين وبعدها ذهب للإمام ليسلم عليه ...

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام إزيك يا أستاذ؟، المسجد نور والله، قالها الإمام مع ابتسامة ينشرح لها القلب.

- شكراً لحضرتك ...

أقيمت الصلاة واصطف المصلون و بدأ الإمام في ترتيل القرآن بصوته العذب...

شعر يوسف أن كلام الله يعنيه هو فلقد قرأ الإمام " ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله..."

بكى يوسف في سجوده طالباً من الله المغفرة ..

انتهت الصلاة و بعدها أخذ يوسف ركناً من المسجد وجلس وحيداً...

لاحظ والده ذلك الأمر ففضل أن يتركه وحيداً ولكنه طلب من الإمام أن يتحدث معه.

جلس الإمام مع يوسف ليبدأ الحديث بينهما.

- أنا تحت أمرك يا يوسف اتكلم برحمتك وأنا سامعك.